



أرسل الله الرسل وهياهم لمواجهة أهل الظلم الذين حادوا بعباده عن طريق الهدى والصلاح، فاستجابوا لأمره مع قلة قليلة من الضعفاء المقهورين بإعداد ما يمكنهم لتحقيق أوامرها وإرادتها، ولقد نظر الناس إليهم على أن ما جاؤوا به نوع من أنواع الثورات البشرية يرمي أصحابها إلى نفع أنفسهم وتحقيق مآربهم، فحشد الأقوياء لمواجهتها ولاذ الضعفاء بها، واستنفذ أولئك المستضعفون كل إمكاناتهم وقدراتهم ليتجاوزوا محنتم واستعنوا عليها بالصبر والصلة بعد التسليم لأمر الله الذي أخرجهم رغم ضعفهم وتفرقهم.

لكن الأعداء تکالبوا عليهم ودارت الدوائر على أولئك الضعفاء الذين لم يعد لديهم من يستعينون به إلا كلمات الأنبياء ووعودهم بنصر الله الذي داخلهم كثير من الشك في إمكانية وقوعه؛ {مستهم البأساء والضرّاء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله...}.

لقد رمى الناس هؤلاء الضعفاء عن قوس واحدة وتكالبت عليهم القوى من كل حدبٍ وصوبٍ، حتى لم يعد في يد نوح - عليه السلام - إلا بقية ألواح ودُسُر، وفي يد موسى - عليه السلام - غير عصاه التي يهشّ بها على غنميه، وفي يد محمد - صلى الله عليه وسلم - غير قلة من الأنصار ومعهم بعض المهاجرين؛ {وضاقت عليهم الأرض بما رحبّت}، {وظنوا أنهم أحبط بهم}، {جاءهم نصرنا فُنجيَ من نشاء}، وإذا بذلك الضعف ينقلب قوة، وذلك الخذلان ينقلب تأييداً، ويظهر الحق ويزهق الباطل؛ {ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين}، بعد أن استیأس أهله من النصر وأعوانه، لكن حكمة الله تجري على ما يشاء وفق إرادته وعلمه ليربي في أنصاره وجندوه ضرائر النصر وأسبابه وفق سننه الكونية مادية ونفسية.

ونحن في هذه الثورة السورية المباركة التي أخرج الله - تعالى - فيها ثلاثة من الأطفال دون إرادة ممن خلفهم ليجرروا كوامن العزة والكبرياء في عزائم أهليهم وتصورهم التي جثم عليها الذل والثور حقباً مديدة؛ وإذا بشباب سوريا ومدنها تجد نفسها في الغالب مضطرة للثورة على الظلم والطغيان، ومن لم يثر من أقطارها اضطره النظام الفاسد أن يثور في فسيح الساحات بأعلى العزمات وأبلغ الصيحات. إنها الثورة الربانية التي لا يد لأحد في إشعالها أو إطفائها؛ {هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين...}، وطالما أن الأمر أمره والخطة خطته فلنذرع فيها بأذرعة الطاعة والثبات وتقديم أقصى الإمكانيات والاستئصار بالأداب والدعوات، ولا تطيشن رأيك وتضييعن عزmk أيها التأثر المجيب، فإن الحياة مع الحرية أصبحت لك وأنت جدير بأن تعيشها وتعيش من أجلها مع أولئك المنصوريين من جند الله الغالبين.

المصادر: